الشاهد الشعري و أثره في علوم اللغة العربية

في مصنفات ابن جني، شعر الحطيئة مثالاً

Poetic Evidence and its Impact on Arabic Linguistics in Ibn Jinni's Works, with al-Hutay'ah's Poetry as an Example

ديما عبيد الرشيدي

جامعة الكويت

البريد الإلكتروني: dema424243@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/04/22	تاريخ القبول: 2025/04/29	تاريخ النشر: 2025/06/01

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الشواهد الشعرية في شعر الحطيئة في مصنفات علم من أعلام اللغة العربية، وهو ابن جني الذي صبّ جل اهتمامه على مستويات اللغة العربية وألف فيها مؤلفات كثيرة، كان أهمها كتاب الخصائص الذي لم يستطع أحد من العلماء أن يأتي بمثله، فهو تناول فيه الأصوات وأساليب العربية ولهجاتها ومستوياتها المتعددة، ولذا كان مهتماً بعبيد الشعر من الشعراء ليحتج بأشعارهم، وكان للحطيئة حظوة في خصائصه، فاحتج بكثير من أشعاره، بعضها لم يحتج بها أحد قبله، وتبعه العلماء من بعده. وخلص البحث إلى عدد من النتائج المهمة، أهمها أنّ للحطيئة أهمية واضحة عند ابن جني، إذ إنه فاق كلّ من سبقه من العلماء ومن تلاه في عدد الشواهد المأخوذة من شعره التي احتج بها في خصائصه، فهو يعلم أنه من عبيد الشعر، ومن أتباع المدرسة الأوسية، وشعره يمثل مستوى عالياً من الفصاحة العربية.

الكلمات المفتاحية: الشاهد الشعري، الاحتجاج، الحمل على المعنى، تجاذب المعنى والإعراب.

Abstract

This research examines poetic evidence in Al-Hutay'ah's poetry in the works of one of the most prominent figures in the Arabic language, Ibn Jinni, who devoted most of his attention to the various levels of the Arabic language and authored numerous works on it, the most important of which was the book "Al-Khasais" (The Characteristics), which no other scholar has been able to produce anything like, it dealt with the

sounds, styles, dialects and various levels of Arabic. Therefore, he was interested in the captives of poetry among the poets to cite their poems. Al-Hutay'ah had a share of book "Al-Khasais", so he cited many of his poems, some of which no one had cited before him, and scholars followed him after him.

The research concluded with a number of important findings, the most important of which is that Al-Hutay'ah holds clear significance for Ibn Jinni, as he surpassed all scholars who preceded him and those who followed him in the number of examples taken from his poetry that he used to support his book "Al-Khasais". Ibn Jinni recognized that he was a captive to poetry and a follower of Al-Awsiya school, and that his poetry represented a high level of Arabic eloquence.

Keywords: poetic evidence, argument, bearing on meaning, the tension between meaning and syntax.

مقدمة:

مما لا مرية فيه أنّ للشّعر العربي منزلة لا يبلغ شأوها أيّ نوع من كلام العرب، إذ وضعوه في المرتبة الأولى، وغدا سِجِلّاً لمآثرهم وأيامهم، وخيرُ شاهد على ذلك تعليقُهم بعضاً من هذه الأشعارِ على جُدْرانِ الكَعْبةِ المقدَّسة، وهي التي سمّيت بالمُعَلَّقات.

وازدادت أهميته بعد نزول القرآن الكريم، فقد وجد فيه العلماء ضالتهم لتفسير الكثير من الكلمات الغريبة التي وردت في القرآن الكريم، وبيّن ذلك ابنُ عباس (رض) بقوله: "إذا سألتموني عن غريبِ القُرآنِ فالتمسُوه في الشّعرِ، فإنَّ الشّعرَ ديوانُ العَرَب"[1]. ولم يقف الاهتمام به عند المفسرين إذ اهتم به علماء اللغة أيّما اهتمام أيضاً، فهو دليلُهم الذي لا ينقض، وشاهدهم الذي لا يرد. ولكي يعززوا من قيمة الشاهدِ الشعريّ وضعوا له عدداً من الشروط، فهناك أشعار لا تمثل السائد من كلام العرب من حيث الفصاحة.

تعريف الشاهد الشعري:

هو الدليل الثاني الذي يستدل به على صحة القاعدة النحوية بعد القرآن الكريم، فهو يمثل اللغة الفصحى في أبهى صورها، ومنه تستنبط بعض القواعد الفرعية التي تمثل لغةَ إحدى

(1) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م 67/2.

القبائل العربية، فهو الدليل الحي على طريقة استخدام اللغة في بيئة معينة أو رقعة جغرافية محددة، وهو يعكس استخدامات لغوية قديمة، مما يساعد في فهم تطور اللغة العربية عبر العصور.

شروط الاحتجَّاج بالشّاهد الشّعري:

جعل النحويون السبيلَ إلى نخل الشواهد الشعرية التي تُؤسَسُ عليها القاعدة الرُّقعةَ الجغرافية والفترة الزمنية اللتين عاش فيهما الشاعر، فرفضوا الأخذ من القبائل التي كانت تعيش على أطراف الجزيرة العربية خوفاً من تسرّب اللحن إليهم عن طريق مجاورتهم للأعاجم، وقد نقل السيوطى عن أبي نصر الفارابي: "والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي، من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم"[1]، أما المقياس الزماني الذي اعتمده العلماء في نخلهم الأشعار، فقد تمثّل في تقسيم الشّعراء على أربع طبقات، وحدّدوا ثلاثمئة عام لهذا المقياس تبدأ من 150 ق.هـ، وتنتهي عام 151 هـ، وبيّن البغدادي ذلك بقوله: "الكلام الذي يُسْتَشْهَدُ به نوعان شعرٌ وغيره، فقائل الأوّل قد قسّم على طبقات أربع:

الطبقة الأولى: الشّعراء الجاهليون؛ وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية: المخضرمون؛ وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسّان.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون؛ وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة: المولّدون، ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم إلى زماننا، كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقتان الأوليّان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأمّا الثالثة فالصَّحيح صحَّةُ الاستشهاد بكلامها، وأمّا الرابعة فالصَّحيح أنه لا يُسْتَشْهَدُ بكلامها مطلقاً"[2]، ولخَّص أبو عبيدة هذا المقياس بقوله: "افتتح الشّعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة"[3].

(1) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ 1998م 1/ 167،

(2) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الرابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418 هـ - 1997 م 6/1.

(3) السيوطي، المزهر 411/2.

بيد أنّ ما قاله أبو عبيدة قد خرقه النحويون بدءاً من سيبويه الذي احتجَّ بأشعار لشعراء سكنوا الحاضرة كـعبيد الله بن قيس الرقيات والكميت بن زيد،[1] واحتجَّ أيضاً بشعر شعراء توفوا بعد عام 151هـ كأبي حية النمري المتوفى عام 183 هـ.[2]

وثمة قضيَّةٌ أخرى أولاها علماء اللغة اهتمامهم، وهي الخلاف في أسس الاحتجَّاج بين نحاة الكوفة الذين وُسِموا بالتَّساهُلِ في اختيارِ شواهدهم ونحاة البصرة الذين وسموا بالتشدّدُ في اختيارِ شواهدِهِمْ، إذ إنهم هَدَروا كُلَّ ما رأوه شاذاً ونادراً، وعدّوهُ ممَّا يُسْمعُ ولا يُقاسُ عليه، قال السيوطي: "اتفقوا على أنّ البصريينَ أصَحُّ قياساً؛ لأنَّهم لا يلتفتونَ إلى كلِّ مسموعٍ، ولا يقيسونَ على الشّاذِّ، والكوفيون أوسعُ روايةً.. ولو سمِعُوا بيتاً واحداً، فيه جوازُ شيءٍ مُخالفٍ للأصولِ جَعَلُوهُ أصْلاً، وبوّبوا عليه بخلاف البصريين". [3].

إنّ هذا الاختلاف مردّه الغايةُ التي ينشدها كلُّ فريقٍ من الشّاهد الشعري، فالبصريون "هدفوا إلى وضْعِ قواعِدَ عامةٍ للّغة يجبُ التقيّدُ بها، وحصَروا هذه القواعدَ؛ ليتمَكَّنَ المتعلّمُ من الإحاطةِ بها، ولا سيَّما غيرُ العربيِّ الذي اعتنقَ الإسْلامَ حَديثاً، أمَّا نُحاةُ الكوفةِ فقدْ كانت غايتُهم وصْفِيَةً، لأنّ المثالَ الواحِدَ يُمَثِّلُ في رأيهم ظاهرةً لُغَويَةً لا ينْبَغي رَدُّها، فالعربيُّ في عُرْفِهم لا يخطئُ، وهو يتكلَّمُ وفْقَ سليقته التي فُطِرَ عليها، ومِنْ هنا فقدْ اسْتَطاعوا حِفْظَ الكثيرِ مِنْ لغاتِ العَرَبِ التي أهدرها البصريونَ من خلالِ اهتمامهم بالشّاهد الشّعري بخاصةٍ"[4].

مما سلف نخلص إلى أنّ للشاهد الشعري دوراً كبيراً في بناء القاعدة النحوية، ولا سيّما الشعرُ الذي يكون لواحد من شعراء الطبقتين الأولين. فهو حجرُ أساسٍ في بناء القاعدة النحوية التي تعكس طبيعة اللغة العربية، عبر إسهامه في تأكيد صحّة القواعد النحوية، وتبيين الاستثناءات والمرونة في تطبيق القواعد مما يُبرز قدرة اللغة على التكيف مع السياقات المختلفة.

في السطور القادمة سأتحدث عن شاعرٍ مهمٍّ من شُعراء المدرسة الأوسية، هذه المدرسة التي أسَّسها أوسُ بن حجر، ثم شهرها بعد ذلك زهير بن أبي سلمى، وأختاه، وأتى بعد ذلك ابناه كعبٌ وبجيرٌ، وقد كان كعبٌ تلميذَ أبيه، وكان الحطيئةُ تلميذَ كعبٍ وزهيرٍ، وكان هُدْبةُ بن الخشرم تلميذَ الحطيئة، وكان جميل بنُ معمرٍ تلميذَ هُدْبةَ بن الخشرم.

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1408 هـ - 1988 م 114/1 و123/1 و285 و221 و313 و282/3 و313 و316.

(2) سيبويه 273/2

(3) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، الطبعة الأولى، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2006. ص 428.

(4) الكوسى، د. عصام، الشعر الجاهلي وأثره في بناء القاعدة النحوية، الطبعة الأولى، دمشق، وزارة الثقافة السورية، 2020م، ص 12.

وعُرِف أصحابُ هذه المدرسة بأنهم عبيدُ الشعر، إذ كانوا ينقّحون أشعارَهم، فزهير كان يقول القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ويرسلها في أربعة أشهر. ودعيت هذه القصائد بحوليات زهير.[1]

أمّا الحطيئة فاسمه جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، أبو مليكة: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءاً عنيفاً، سليطَ اللسان، لم يكدْ يسلمُ من لسانه أحدٌ حتى إنه هجا أمه وأباه ونفسه.[2]

أمّا ابن جني (ت 392هـ) الذي اتخذته مثالاً، فهو من أهم علماء اللغة في القرن الرابع الهجري، صنّف في النحو، والصرف، والأصوات، وفي القراءات الشاذة.[3]

شعر الحطيئة في مصنفات ابن جني:

أولاً: شواهده في الخصائص:

وجد ابن جني في شعر الحطيئة مادةً مهمّةً تساعده على استنباط القواعد النحوية والصرفية واللغوية، فذكر في خصائصه أَحَدَ عشر شاهداً، معظُمها ليست في النحو والصرف، وإنما أغلبها في تجاذب المعنى والإعراب، وهي الغاية التي صنّفَ من أجلها كتاب الخصائص، بيدَ أنّ هذه الشواهدَ لم تكنْ في منزلةٍ واحدةٍ، فقد احتجَّ بثلاثة شواهد كان علماء اللغة من قبله قد احتجَّوا بها، وهو قوله:[4]

ثلاثةُ أنفسٍ وثلاثُ ذودٍ ... لقدْ جارَ الزَّمانُ على عيالي[5]

فاحتجَّ به في باب (فصل في الحَمْل على المعنى): حيث ذكر المؤنث لفظ (نفس) حملاً على معنى (شخص).[6]

---

(1) ينظر: الشيباني، بو عمرو، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الطبعة: الأولى، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1422 هـ - 2001 م. ص 179.

(2) الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، بيروت، دار العلم للملايين 2002 م. 118/2

(3) ينظر الزركلي 204/4.

(4) الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان اش عر، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م. ص165، وروايته بالديوان: ونحن ثلاثة وثلاث ذود...

(5) وهو من شواهد سيبويه "2/ 175" وشرحه البغدادي في الخزانة "3/ 301" وبعض شراح ألفية ابن مالك. والنحاة يستشهدون من هذا البيت في موضعين: أما الموضع الأول ففي قوله: "ثلاث أنفس" حيث أتى بلفظ العدد مقترنًا بالتاء مع أنه مضاف إلى معدود مؤنث، وهو الأنفس الذي هو جمع نفس، إلا أن النفس قد يطلق عليها لفظ شخص والشخص مذكر، وهذا الموضع هو الذي يعينه ابن جني هنا من الاستشهاد بهذا البيت. والموضع الثاني: في قوله: "وثلاث ذود" حيث أضاف لفظ العدد إلى اسم الجمع الذي هو الذود، والأصل أن يضاف اسم العدد إلى جمع تكسير من جموع القلة..

(6) ابن جني، أبو الفتح عثمان الخصائص، الطبعة: الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا ت، 414/2.

وقوله:[1]

أقلوا عليهمْ لا أباً لأبيكمُ ... من اللومِ أو سدُّوا المكانَ الذي سدُّوا [2]

فهذا الشاهد ذكره المبرد ضمن قصيدة للحطيئة عند ذكر أخباره فحسب، وذكره بعده كثيرون من مصنفي كتب الأدب كالقالي في أماليه، وابن الشجري في مختاراته من أشعر العرب، وابن حمدون في تذكرته، وغيرهم كثيرون.[3] وأما ابن جني فقد احتجَّ به على جواز أن تجعل للجماعة أبا واحداً، فقال معقباً على قول جرير:

يا تيمَ تيمَ عَدِيٍّ لا أبا لكم ... لا يُلْقِيّنكم في سوْءةٍ عُمَرُ [4]

ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون للتيم كلها أب واحد، ولكن معناه: كلكم أهل للدعاء عليه والإغلاظ له. وقال الحطيئة: أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... فإن قلت: فقد أثبت الحطيئة في هذا البيت ما نفيته أنت في البيت الذي قبله، وذلك أنه قال " لأبيكم" فجعل للجماعة أبًا واحدًا، وأنت قلت هناك: إنه لا يكون لجماعة تيم أب واحد، فالجواب عن هذا من موضعين: أحدهما ما قدمناه من أنه لا يريد حقيقة الأب وإنما غرضه الدعاء مرسلا ففحش بذكر الأب على ما مضى. والآخر أنه قد يجوز أن يكون أراد بقوله "لأبيكم " الجمع أي لا أبا لآبائكم. يريد الدعاء على آبائهم من حيث ذكرها، فجاء به جمعًا مصححًا على قولك: أب وأبون وأبين".[5]

وقوله:[6]

مُنعَّمةٌ تصونُ إليكَ منها ... كصونك من رداء شرعبيّ

فقد احتجَّ به قبله أبو علي الفارسي على أنّ التاء في الفعل (تصون) تأتي للغائب المؤنث من دون المخاطب، وقال: " أي تصون هي: وليس تصون لك أيها المخاطب، كما أن (تهوى) في قوله: فإن تكن هواك الذي تهوى ليس لك."[7] أما ابن جني فقد احتجَّ به على جواز حذف المفعول به لدلالة المعنى عليه، فقال: " وقد حذف المفعول به نحو قول الله تعالى: {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل: 23]،

(1) الحطيئة، الديوان ص 72.

(2) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1417 هـ - 1997 م 138/2، والخصائص 346/1

(3) ينظر: القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الطبعة: الثانية، مصر، دار الكتب المصرية، 1344 هـ - 1926م 118/2. وابن الشجري، ضياء الدين، أبو السعادات، هبة الله بن علي بن حمزة، ومختارات شعراء العرب لابن الشجري، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، الطبعة: الأولى، مصر، مطبعة الاعتماد، 1344 هـ - 1925 م 13/3. والبغدادي، بهاء الدين، محمد بن الحسن بن محمد، التذكرة الحمدونية، الطبعة: الأولى، بيروت، دار صادر، 1417 هـ. 440/9.

(4) من شواهد الكتاب 53/1، وانظر شرحه في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، 107/4.

(5) ابن جني، الخصائص 346/1-37.

(6) الحطيئة، الديوان ص 190.

(7) الفارسيّ، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولى، القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي، 1408 هـ - 1988 م. 197/1.

أي: أوتيت منه شيئًا، وعليه قول الله سبحانه: {فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى} [النجم: 54] أي: غشاها إياه، فحذف المفعولين جميعًا، وقال الحطيئة: ... أي: تصون الحديث منها، وله نظائر."[1]

وثمة أبيات لم أقف عليها عند أحدٍ من علماء اللغة قبله، وهذه الأبيات احتجَّ بعددٍ منها بعضُ العلماء بعدَه، منها قوله:[2]

طافَتْ أُمامةُ بالرُّكْبان آونةً ... يَا حُسْنَهُ من قَوام مَا ومُنْتَقَبَا

فقد احتجَّ به ابنُ جني في باب الحمل على المعنى، فقال: " لأنّ الأولَ في معنى: يا حسنه قوامًا".[3]واحتجَّ به عددٌ من علماء العربية على زيادة (من) من غير أن تسبق بنفي، فزيدت في التمييز.[4]

وقوله:[5]

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَلاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ * لاَ يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ الله وَالنَّاسِ

وهذا الشاهد من أشهر شواهد الحطيئة وذكرته معظم معاجم اللغة، أما علماء اللغة المشهورون فقد أغفلوه جميعاً ما عدا ابن جني الذي احتجَّ به على جواز أن تكون (جوازيه) جمع (جاز) أو جمع (جزاء)، فقال: " فظاهر هذا أن يكون "جوازيه" جمع جازٍ، أي: لا يعدم شاكرًا عليه، ويجوز أن يكون جمع جزاء، أي: لا يعدم جزاء عليه، وجاز أن يجمع جزاء على جوازٍ لمشابهة المصدر اسم الفاعل".[6] أمّا شراح الآجرومية فقد احتجّوا به في الحديث عن أدوات الشرط الجازمة.[7]

وقوله:[8]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ ... زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

احتجَّ به ابن جني في باب في احتمال القلب لظاهر الحكم: فقال: " هذا موضع يحتاج إليه مع السعة؛ ليكون مُعَدًّاً عند الضرورة. فمن ذلك قولهم: أسطر. فهذا وجهه أن يكون جمع سطر،

---

[1] ابن جني، الخصائص 374/2.

(2) الحطيئة، الديوان ص39.

[3] ابن جني، الخصائص 434/2

[4] المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة: الأولى، دار الفكر العربي، 1428هـ - 2008م.202/1، 734/2. والأُشْمُونِي، أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الطبعة: الأولى، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 1419هـ- 1998م 51/2 والبغدادي، خزانة الأدب 290/2

[5] ا الحطيئة، لديوان ص 120.

[6] ابن جني، الخصائص 491/2.

[7] الصنهاجي، محمد بن محمد بن داود، أبو عبد الله شرح الآجرومية، مؤلف الأصل: ابن آجُرُّوم، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، طبعة إلكترونية، المكتبة الشاملة.21/3.

[8] الحطيئة، الديوان ص 107.

ككلب وأكلب، وكعب وأكعب... ومثله أسطار، فهذا وجهه أن يكون جمع سطرٍ "كجبل وأجبال"، وقد يجوز أيضًا أن يكون جمع سطر كثلج وأثلاج، وفرخ وأفراخ"[1]

وقد احتجَّ بهذا الشاهد عدد من علماء اللغة بعده، على أن جمع (فرخ) على أفراخ شاذٌّ، والقياس: أفرخ، وفراخ. فأبو البركات الأنباري قال: " فأمَّا قولهم: "فَرْخ وأَفْرَاخ، وأنف وآناف، وزَنْد وأَزْناد" في حروف معدودة فشاذٌّ، لا يقاس عليه، على أنهم قد تكلموا عليها، فقالوا: إنما قالوا في جمع: فرخ: أفراخ؛ لوجهين: أحدهما: أنهم حملوه على معنى "طيْر"؛ فكما قالوا على جمع: طَيْر: أطيار؛ فكذلك، قالوا في جمع: فرْخ: أفراخ؛ لأنَّه في معناه. والوجه الثاني: أنَّ فيه الرَّاء؛ وهو حرف تكرير فينزل التَّكرير فيها بمنزلة الحركة؛ فصار بمنزلة "فَعَل" بفتح العين؛ فجمع على "أفعال" كـ"جبل: وأجبال، وجمل: وأجمال".[2]

وقوله:[3]

فإيّاكم وحيّةَ بطنِ وادٍ ... هموزِ النّاب لَيْسَ لكم بسيّ

احتجَّ به في الخصائص في أثناء حديثه عن جوار المتصل والمنفصل: " أما الجوارُ في المنفصل فنحوُ ما ذهبت الكافةُ إليه في قولهم: (هذا حُجْرُ ضبٍّ خربٍ) وقول الحطيئة"[4]. أمّا البغدادي فقال: "على أَن سِيبَوَيْهِ اسْتدلَّ بِهِ على جر الْجوَار رداً على الْخَلِيل فِي زَعمه أَنه لَا يجوز إِلَّا إِذا اتّفق الْمُضَاف والمضاف إِلَيْهِ فِي أُمُور ذكرهَا الشَّارِح الْمُحَقق: مِنْهَا اتِّفَاقهمَا فِي التَّذْكِير والتأنيث، وَهَذَا الْبَيْت يرد عَلَيْهِ فَإِن (هموز) نعت الْحَيَّة المنصوبة. وجُرَّ لمجاورته لأحد المجرورين؛ وَهُوَ (بطن) أَو (وَادٍ). وبينه ابْن جني فِي شرح تصريف الْمَازِني؛ فَقَالَ: جر (هموز) لمجاورته لـ(واد) مَعَ اخْتِلَاف الْمُضَاف والمضاف إِلَيْهِ تذكيراً وتأنيثاً فَإِن (حَيَّة) مؤنث وَمَا بعْدهَا مُذَكّر. وَفِيه أَن كلا من الْحَيَّة وَمَا بعْدهَا مُذَكّر".[5]

وقوله:[6]

أزْمَعْتُ يَأساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمُ ... ولن ترى طارداً للحر كَالْيَاسِ

---

(1) ابن جني، لخصائص 61/3.

(2) الأنباري، أبو البركات، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، الطبعة: الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ-1999م. ص 245. وانظر: الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الطبعة: الأولى، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية - 1421هـ- 2000 525/2. والنجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، 1422هـ - 2001م.192/4.

(3) الحطيئة، الديوان ص 190، برواية: حديد الناب...

(4) ابن جني، الخصائص، 223/3

(5) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، 86/5. ولم أقف عليه في كتاب سيبويه والمنصف لابن جني.

(6) الحطيئة، الديوان ص 119.

احتجَّ به ابن جني في باب تجاذب المعاني والإعراب، ومنع تعليق شبه الجملة (من نوالكم) بالمصدر؛ لأنه وصفٌ، فقال: " فلا يجوز أن يكون قوله: "من نوالكم" متعلقاً بيأس وقد وصفه بمبين، وإن كان المعنى يقتضيه؛ لأنَّ الإعراب مانع منه. لكنْ تضمر له حتى كأنك قلت: يئست من نوالكم."[1] وتبعه في ذلك ابنُ هشامٍ، فقال: " وَالصَّوَاب أَن تعلقهَا بـ(يئست) محذوفاً: لِأَنَّ الْمصدر لَا يُوصف قبل أَن يَأْتِي معموله".[2]

وثمة شاهدان ذكرهما ابن جني ليس لإقرار قاعدة، وإنما لبيان سقطات العلماء، وهما:

قوله:[3]

أُولئك قومٌ، إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَى، ... وَإِنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا، وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

فقال: " حكى الأصمعي قال: دخلت على حماد بن سلمة وأنا حدث، فقال لي: كيف تنشد قول الحطيئة: "أولئك قوم إن بنوا أحسنوا ماذا. فقلت: أحسنوا البنى، فقال: يا بني، أحسنوا البنا. يقال: بنى، يبنى بناء في العمران، وبنا يبنو بنًا، في الشرف. هكذا هذه الحكاية، رويناها عن بعض أصحابنا. وأما الجماعة فعندها أن الواحد من ذلك: بنية وبنية؛ فالجمع على ذلك: البُنَى، والبِنَى"[4].

وقوله:[5]

وغَرَرْتَنِي وزَعَمْتَ أَذْ... نَكَ لَابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِرُ

وحكي عن الأصمعي أنه صحَّفَ قولَ الحطيئة، وقال إن الصواب: لاتني بالضيف تامر، أي تأمر بإنزاله وإكرامه. وقال ابن جني: "تبعد هذه الحكاية "في نفسي" لفضل الأصمعي وعلوه؛ وغير أني رأيت أصحابنا على القديم يسندونها إليه، ويحملونها عليه"[6].

شواهده في سر صناعة الإعراب:

احتجَّ ابن جني بثلاثة شواهد في كتابه سر صناعة الإعراب، وهي: قوله:[7]

شَهِدَ الْحُطَيْئَةُ حِين يَلْقَى رَبَّه... أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعذرِ

(1) ابن جني، الخصائص 261/3.

(2) ابن هشام جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الطبعة: السادسة، دمشق، دار الفكر، بلا ت. ص 766.1985

(3) الحطيئة، الديوان ص 72 وص76.

(4) ابن جني، الخصائص 301/3–302

(5) الحطيئة، الديوان ص 91.

(6) من شواهد سيبويه 381/3، والخصائص 285/3.

(7) الحطيئة، الديوان ص 110.

فقد احتجَّ به على وقوع الماضي موقع المستقبل.[1] واحتجَّ به من بعده القيرواني في (ما يجوز للشاعر في الضرورة).[2]، وهذا الشاهد يدلل على أن النحويين القدماء كانوا مدركين للزمن النحوي للفعل، وكانوا على دراية بالفرق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي، وليس كما مهدي المخزومي في مواضع عدّة من كتابه: إنّ النحاة العرب القدماء لم يستطيعوا التمييز بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، ولم يولوا دلالة الفعل على الزمن أيّ اهتمام، وفشلوا في تطبيق أقسام الفعل على أقسام الزمان، ولهذا اضطروا إلى التأويل."(3).

وقوله:[4]

فإنْ لا يكُنْ مالٌ يُثَابُ فإنه... سيأتي ثنائي زيدًا ابنَ مُهَلْهِلِ

احتجَّ به على إثبات التنوين في كلمة (زيد) اضطراراً[5]. وقد احتجَّ بهذا البيت في الخصائص إلا أنه وجه البيت توجيهاً آخر فقال: " الوجه أن يكون "ابن مهلهل" بدلًا من زيد لا وصفًا له؛ لأنه لو كان وصفًا لحذف تنوينه، فقيل: زيد بن مهلهل، ويجوز أيضًا أن يكون وصفًا أخرج على أصله، ككثير من الأشياء تخرج على أصولها تنبيهًا على أوائل أحوالها كقول الله سبحانه: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} ونحوه"[6]. واحتجَّ به من بعده القزاز القيرواني في ثَبَاتُ التنوين في الموضع الذي حقُّه أن يسقط فيه، مثل قولهم: رأيت زَيْدَ بْنَ عمرٍو ومررت بزيدِ بنِ عمرٍو، ومنهم من إذا اضطر أثبته،[7] وتبعه ابن عصفور، فقال: يجوز تنوين الاسم العلم الموصوف بابن المضاف إلى العلم أو ما جرى مجراه رداً إلى أصله.[8]

وقوله:[9]

ما كانَ ذَنْبُ بغيضٍ لا أبا لكُمُ ... في بائسٍ جاءَ يحدو أيْنُقا شُزُبا

وهذا الشاهد من الشواهد التي تفرد بها إذ احتجَّ به على أنّ الزاي والسين ليست إحداهما بدلاً من الأخرى، فقال: "وقال بعضهم: يقال: شزب وشسب وشسف بمعنى. أي ضمر. وفصل الأصمعي فقال: الشازب: الذي فيه ضمور وإن لم يكن مهزولا، والشاسب والشاسف الذي قد يبس.

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، الطبعة: الأولى، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية 1421هـ- 2000م. 75/2.

(2) القزاز القيرواني، محمد بن جعفر، ما يجوز للشاعر في الضرورة، حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي، الكويت، دار العروبة، بإشراف دار الفصحى بالقاهرة، بلا ت. ص 273.

(3) المخزومي، مهدي، النحو العربي، نقد وتوجيه، الطبعة الثانية، بيروت، دار الرائد العربي، 1986، ص113- 114 و144-147.

(4) الحطيئة، الديوان ص 167.

(5) ابن جني، سر الصناعة 185/2.

(6) ابن جني، الخصائص 493/2.

(7) القزاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة ص 260.

(8) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، ضرائر الشعر، المحقق: السيد إبراهيم محمد، الطبعة: الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1980 م. ص 28.

(9) الحطيئة، الديوان ص 46. برواية: أينقاً شسبا.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: ما قال الحطيئة "أينقا شزبا" إنما قال: "أعنزا شسبا"، وليست الزاي ولا السين بدلا إحداهما من الأخرى، لتصرف الفعلين جميعا".[1]

شواهده في المحتسب:

ذكر ابنُ جني أربعة شواهد للحطيئة في المحتسب، وجاءت في أثناء شرحه لبعض المعاني أو توجيه بعض القراءات، ومنها قوله:[2]

فلمَّا خشيتُ الهونَ والعيرُ ممسكٌ على رغمه ما أمسكَ الحبلَ حافرُه

فقد احتجَّ به أستاذه أبو علي الفارسي في باب (مما قلب الكلام فيه عن الحد الذي ينبغي أن يكون عليه)[3] أما ابن جني فقد احتجَّ به في قراءة علي وابن عباس والسلمي والشعبي وغيرهم لقوله تعالى(قُدِّرُوهَا تَقْدِيرًا) [الإنسان: 16] فقال: " ومثله في القلب قراءة من قرأ: "قُدِّرُوهَا تَقْدِيرًا"[3]، أي: قدرت لهم، والقلب باب، وشواهده كثيرة، منها: ما أمسكَ الحبلَ حافِره، أي: ما أمسَكَ الحبْلُ حافِرَهُ".[4]

واحتجَّ به بعد ذلك ابن عصفور في الضرائر، فقال: " فإنَّ كثيراً من النحويين جعلوه مقلوباً، وزعموا أنه يريد: ما أمسك الحبل حافره، إلا الأصمعي فإنه زعم أنه غير مقلوب وأن الحافر هو الذي يمسك الحبل، إذ لولاه لخرج الحبل من رجله. والقلب مقيس في الشعر بلا خلاف لكثرة مجيئه فيه"[5].

وقوله:[6]

أَزمعتُ يأْسًا مبينًا من نَوَالِكُمُ ... ولن تَرى طاردًا للحُرّكالياس

احتجَّ به في توجيه قراءة أبي جعفر والأعمش وسهل بن شعيب: (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) [يونس: 4]. فقال: "إن شئت كان تقديره: وعد الله حقًّا؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده؛ أي: من قدرَ على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن إخلاف الوعد، وإن شئت كان تقديره: أي وَعَدَ الله وعدًا حقًّا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فتكون "أنه" منصوبة بالفعل الناصب لقوله: "وعدًا"، ولا يجوز أن يكون "أنه" منصوبة الموضع بنفس "وَعْد" لأنه قد وصف بقوله حقًّا، والصفة إذا جرت على

(1) ابن جني، سر الصناعة 207/1.

(2) الحطيئة، الديوان ص98، وروايته: ما أثبت الحبلَ حافره.

(3) الفارسي، كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، ص105.

(4) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ- 1999م. 117/2-118.

(5) ضرائر الشِّعْر، ابن عصفور، ص271.

(6) الحطيئة، الديوان ص 119.

موصوفها أذِنت بتمامه وانقضاء أجزائه، فهي من صلته، فكيف يوصف قبل تمامه؟ فأما قول الحطيئة:... فلا يكون قوله: من نوالكم من صلة يأس من حيث ذكرنا، ألا تراه قد وصفه بقوله: "مبينًا"؟ وإذا كان المعنى لعمري عليه ومُنع الإعراب منه أُضمر له ما يتناول حرف الجر، ويكون يأسًا دليلًا عليه؛ كأنه قال فيما بعد: ويئست من نوالكم"[1]. وهذا الشاهد سبق ذكره إذ احتجَّ به ابن جني في الخصائص على عدم جواز تعليق من نوالكم بالمصدر الموصوف.

وقوله:

تَنَحَّيْ فاقعدي مِنّي بعيداً ... أراحَ اللهُ منكِ العالمينا

احتجَّ به لتوضيح قراءة أُبي بن كعب ومحمد بن السميفع ويزيد البربري: "فاليومَ نُنَحِّيك" بالحاء[2]، فقال: "هذه نُفَعِّلك من الناحية؛ أي: نجعلك في ناحية من كذا، يقال: نَحوْتُ الشيء أنحوه: إذا قصدته، ونَحَّيت الشيء فتنحى: أي باعدته فتباعد فصار في ناحية. وقال الحطيئة ..." [3]

وقوله:[4]

أبلغْ لديكَ بني سَعْدٍ مُغَلْغَلَةً ... جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتاً وَلَا كَذِبَا

احتجَّ به في توضيح قراءة الأعرج: "وَمَا أَلَتْنَاهُم"، على أفعلناهم.، وقال: " قراءة عبد الله وأبي: و"مالتناهم". وكان ابن عباس يقول: "ألتناهم": نقصناهم. يقال: ألته يألته ألتا، وآلته يؤلته إيلاتا، ولاته يليته ليتا. كلهن بمعنى واحد. أي: نقصه، ويقال أيضا: ولته يلته ولتا، بمعناه."[5]

نتائج البحث:

1- للحطيئة أهميةٌ واضحةٌ عند ابن جني، إذ إنه فاق كلّ من سبقه من العلماء ومن تلاه في عدد الشواهد المأخوذة من شعر الحطيئة التي احتجَّ بها في مصنّفاته، فهو يعلم أنه من عبيد الشعر، وشعره يمثل مستوى عالياً من الفصاحة العربية.

2- بلغ عددُ الشواهد التي احتجَّ بها ستةَ عَشَرَ شاهداً، منها أحدَ عَشَرَ شاهداً في كتاب الخصائص وحده، منها شاهدان احتجَّ بواحدٍ في كتابه سر صناعة الإعراب وبواحد في كتابه المحتسب، وهذا يبيّنُ مقدارَ اهتمامه بشعر الحطيئة.

(1) ابن جني، المحتسب 307/1.

(2) وَهو قَول الله جلَّ وعَزَّ: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} (يُونُس: 92).

(3) ابن جني، المحتسب 316/1-317.

(4) الحطيئة، ديوانه: ص 45.

(5) ابن جني، المحتسب 290/2.

3- الشواهد التي احتجَّ بها في الخصائص كلها تدل على قواعد فرعية كجواز حذف المفعول به وزيادة (من) في الموجب، وثمة شواهد أوردها ليدلل على تجاذب المعاني والإعراب، فللمعنى حضورٌ كبيرٌ في النحو العربي.

4- أمّا الشواهد التي احتجَّ بها في المحتسب فتدلل على أنّ بعضَ القراءات الشاذة لها ما يسندها ويؤكدها في كلامِ العرب.

فهرس المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

1. الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الطبعة: الأولى، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية - 1421هـ- 2000.
2. الأُشْمُوني نور الدين، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الطبعة: الأولى، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية 1419هـ- 1998مـ
3. الأنباري، كمال الدين، أبو البركات، أسرار العربية، الطبعة: الأولى دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ- 1999م.
4. البغدادي، بهاء الدين، التذكرة الحمدونية، الطبعة: الأولى، بيروت، دار صادر، 1417هـ
5. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الطبعة: الرابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418 هـ - 1997م.
6. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الطبعة: الرابعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، الطبعة: الأولي بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية 1421هـ- 2000م.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ- 1999م.
9. الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان شعر، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م.
10. الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، بيروت، دار العلم للملايين، 2002 م.
11. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1408 هـ - 1988.

12. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ 1998م.
13. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، الطبعة: الأولى، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2006.
14. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.
15. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، مختارات شعراء العرب لابن الشجري، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، الطبعة: الأولى مطبعة الاعتماد، مصر، 1344 هـ - 1925.
16. الشيباني، أبو عمرو، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، الطبعة: الأولى، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1422 هـ - 2001 م.
17. الصنهاجي، محمد بن محمد بن داود، شرح الآجرومية، مؤلف الأصل: ابن آجُرُّوم، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.، طبعة إلكترونية في المكتبة الشاملة.
18. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، ضرائر الشِّعْر، المحقق: السيد إبراهيم محمد الطبعة: الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1980 م.
19. الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولى، القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي، 1408 هـ - 1988 م.
20. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الطبعة: الثانية، مصر، دار الكتب المصرية، ،1344 هـ - 1926م.
21. القزاز القيرواني، محمد بن جعفر ما يجوز للشاعر في الضرورة، حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي، الطبعة الأولى، الكويت، دار العروبة، بلا ت.
22. الكوسى، د. عصام، الشعر الجاهلي وأثره في بناء القاعدة النحوية، الطبعة الأولى، دمشق، وزارة الثقافة السورية، 2020م.

23. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1417 هـ - 1997 م.
24. المخزومي، د. مهدي، النحو العربي، نقد وتوجيه، الطبعة الثانية، بيروت، دار الرائد العربي
25. المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الفكر العربي، 1428هـ - 2008م.
26. النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، 1422هـ - 2001م.
27. ابن هشام جمال الدين، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الطبعة: السادسة، دمشق، دار الفكر، بلا ت.